

(٢) إِلَى طُلَّابِ

مَدْرَسَةِ: (اعْرِفُونِي)!! (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ نَبَتَتْ فِي أَيْمَانِنَا هَذِهِ - كَمَا نَبَتَتْ فِي كُلِّ عَصْرٍِ وَجَدَ فِيهِ ضِعَافُ
النُّفُوسِ - نَابِتَةٌ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَتَعَرَّعُوا بِحَلَاوَتِهِ، وَلَمْ
تَسْتَشِعِرْ قُلُوبُهُمْ خَشْيَةَ اللَّهِ؛ فَ«إِنَّمَا الْعِلْمُ الْحَشِيئَةُ»، فَأَرَادُوا أَنْ
يَعْرِفُوا وَيَتَحَدَّثَ النَّاسُ عَنْهُمْ وَلَوْ بِلَعْنِهِمْ؛ فَتَنَمَّرُوا، وَأَبْرَزُوا عَنْ
أَنْبِيَابِهِمْ، وَشَحَذُوا مَخَالِبَهُمْ، وَأَنْقَضُوا عَلَى الثَّوَابِتِ مِنْ تَعَالِيمِ هَذَا
الدِّينِ مَهْشًا، وَعَلَى الشَّوَامِخِ الْأَعْلَامِ هَدْمًا، يَنْفُسُ أَحَدُهُمْ رِيشَهُ
مُخْتَلًا كَالطَّائِفِ، يَسُوقُهُ دَاءُ الْغُرُورِ إِلَى دَعْوَى الْمُنَافِقَةِ عَنِ الْعِلْمِ

(١) انظُرْ كِتَابَ "التَّعَالُمُ" لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ / بَكْرِ أَبِي زَيْدٍ، وَمُقَدِّمَةَ كِتَابِ
"الإعْتِبَارُ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ" لِلْحَازِمِيِّ.

وَالْتَحْقِيقِ، وَالذَّبَّ عَنِ تَعَالِيمِ الدِّينِ القَوِيمِ، وَبَدَلَ الجُهْدِ فِي إِبْرَازِ
 نَصَاعَةِ الدِّينِ، وَتَجْدِيدِهِ، وَمُسَايَرَتِهِ لِرُوحِ العَصْرِ!!
 حَتَّى أَصْبَحَ "المُجَدِّدُونَ" المَزْعُومُونَ "الْمُتَعَالِمُونَ" كَثْرًا؛ لَا
 كَثَرَ اللهُ أَمْثَالَهُمْ، وَأَرَاخَنَا مِنْ أَمْرَاضِهِمْ!!
 وَيَزْعُمُونَ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَبِينُونَ تَشْوِيَةَ الجَاهِلِينَ لِتَعَالِيمِهِ، وَيُظْهِرُونَ
 عَوَارِ الجَامِدِينَ المْتَمَسِّكِينَ بِالنُّصُوصِ!

وَمَا دَرَى المِسْكِينُ - المْتَجَرِّئُ عَلَى الفُتْيَا بِغَيْرِ عِلْمٍ مَهْمَا كَانَتْ دَرَجَتُهُ
 العِلْمِيَّةُ وَمَكَانَتُهُ الإِجْتِمَاعِيَّةُ - أَنَّهُ هُوَ الجَاهِلُ بِتَعَالِيمِ هَذَا الدِّينِ
 وَقِيَمِهِ، فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ هَدْمُ إِجْمَاعِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ
 فِي شَيْءٍ انْتِقَاصُ العُلَمَاءِ، وَالإِعْرَاضُ عَنْ مَنَهَجِ المْتَقَدِّمِينَ، وَلَيْسَ
 مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ نَشْرُ البِدْعِ وَنَصْرُ المَبْتَدِعَةِ، فَ«اللَّهُمَّ! نَشْكُو
 إِلَيْكَ هَذَا الغَثَاءَ»؛ كَمَا قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رحمته.



دَعَاوَى عَرِيضَةً: (الإِجْتِهَادُ وَالتَّجْدِيدُ)، (مُسَايَرَةُ رُوحِ العَصْرِ)،
 (حُرِّيَّةُ الفِكْرِ وَالرَّأْيِ وَالتَّعْبِيرِ)، (رُوحُ الإِبْتِكَارِ)، بِمَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ
 اللَّافِتَاتُ مِنْ رُوحِ الإِثْمَرَامِيَّةِ، وَالشُّعُورِ بِالنَّقْصِ وَالدَّلَّةِ أَمَامَ التَّقَدُّمِ

الْعِلْمِيِّ الْمَرْعُومِ فِي الْغَرْبِ الْكَافِرِ، يَرْفَعُ أَحَدَهُمْ عَقِيرَتَهُ بِهَذِهِ
الدَّعَاوَى هَادِمًا لِلثَّوَابِتِ فِي قِيمِ الدِّينِ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ أَهْلُ الْكُفْرِ
وَالزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، فَيَأْتِ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الْأَوَائِلُ، وَتَرَاهُ كَطَبْلِ أَجُوفٍ،
وَكَمَا قَالَ الْقَائِلُ: «أَسْمَعُ ضَجِيجًا وَلَا أَرَى طِحْنًا»، فَيَبْدُو أَحَدَهُمْ
وَهُوَ يُنَاطِحُ الشَّوَامِخَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ؛ كَوْعَلِ غَرِيرٍ يُنَاطِحُ بَقْرِنَهُ
الصَّخْرَ، أَوْ كَصَبِيٍّ سَادَجٍ يَطْنُ أَنَّهُ بِالْقَائِهِ الْحَصَى نُجَاهَ الشَّمْسِ
سَيَحْدِثُ بِهَا نَدْبًا!!

شَعُودَةٌ نَخْطُرُ فِي حِجْلَيْنِ وَفِتْنَةٌ تَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ (١)



وَلَمَّا كَانَ الْوَاجِبُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ (مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ)، أَنْ
يَأْخُذُوا بِحُجْزِ كُلِّ مُتْكَالِبٍ عَلَى النَّارِ، وَأَنْ يُبْصِرُوهُ بِمَوَاضِعِ
الْأَقْدَامِ، وَإِنْ لَمْ يَتَّصِحْ؛ يُؤْخَذُ عَلَى يَدَيْهِ، بَلْ إِنْ أَمَكَّنَ الْحَجْرُ عَلَيْهِ،

(١) أَيُّ أَنَّ (الشَّعُودَةَ) مِنْ خِيَلَانِهَا تَتَّأَيَّلُ وَتَمْشِي مُشِيَّةَ الْمُعْجَبِ،
وَ(الْحِجْلَيْنِ) مُشْتَى (حِجْل)؛ أَيُّ: خُلْحَالٌ، وَهُوَ مَا تَتَزَيَّنُّ بِهِ الْمَرْأَةُ فِي قَدَمِهَا،
وَ(الشَّعُودَةَ) فِي اللُّغَةِ: حِفَّةٌ فِي الْيَدِ وَأَخْذٌ كَالسَّحْرِ يَرَى الشَّيْءَ بِغَيْرِ مَا عَلَيْهِ
أَصْلُهُ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ.

صَوْنًا لِهَذَا الدِّينِ، وَدَبًّا عَنِ بِيضَتِهِ، فَكَمَا قِيلَ: «الْحَجْرُ لِاسْتِصْلَاحِ
الْأَدْيَانِ؛ أَوْلَى مِنَ الْحَجْرِ لِاسْتِصْلَاحِ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ».

فَلِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ نَتْفِ رِيْشِهِ وَإِظْهَارِ عَوَارِهِ؛ نُصَحَّا لِلْمُسْلِمِينَ،
حَتَّى لَا يَرْوَجَ بُهْرَجُهُ (وَهُوَ الْمَفْلِسُ) عَلَى ضِعَافِ الْعُقُولِ (الْهَمَجِ
الرَّعَاعِ)؛ الَّذِينَ يَسِيرُونَ وَرَاءَ كُلِّ نَاعِقٍ، فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ،
لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ قَدْ اسْتَدْرَكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَصَحَّحَ لَهُمْ مَا أَخْطَئُوا فِيهِ!!

فَإِنَّ مِنْ حَفِظِ اللَّهِ لِهَذَا الدِّينِ، هَتَكَ مَنْ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ السَّخَاوِيُّ رحمته.



وَلَعَلَّ سَائِلًا يَسْأَلُ: لِمَ يَتَعَلَّمُ أَحَدُهُمْ فَيَخْرُقُ "الْإِجْمَاعَ"؟
وَيَطْعَنُ الْآخَرَ فِي الصَّحَابَةِ؟ وَغَيْرُهُ يَطْعَنُ فِي الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ
الَّتِي أَفْنَى الْجَهَابِدَةُ الْأَثْبَاتُ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ أَعْمَارَهُمْ فِي
خِدْمَتِهَا وَالذَّبُّ عَنْهَا؟ وَيَتَطَوَّلُ آخِرُ عَلَى أُيْمَةِ الْحَدِيثِ
كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ؟ وَلِمَ يَجْرِضُ أَحَدُهُمْ عَلَى أَنْ يُحَدِّثَ النَّاسَ
بِمَا لَمْ يَسْمَعُوا هُمْ وَلَا آبَاؤُهُمْ؟! لِمَ يَتَفَيِّهُقُ هَذَا، وَيَتَشَدَّقُ الْآخِرُ
بِالْغَرِيبِ الْمَهْجُورِ؟ وَلِمَ يُخَوِّضُ أَحَدُهُمْ فِي مَسَائِلَ لَوْ عُرِضَتْ

لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ يَسْتَشِيرُهُمْ؟ وَلِمَ يَنْتَقِصُ الْآخِرُ الْعُلَمَاءَ وَيَزِدُّرِي أَعْمَالَهُمْ؟! بَلْ لِمَ يَجْرِي أَحَدُهُمْ وَيَلْهَثُ خَلْفَ الْأَقْوَالِ السَّاقِطَةِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ؟!



إِنَّهُ دَاءٌ (اعْرِفُونِي)؛ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه:
 فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا يَحْيَى الْمَعْرَقِيَّ؛ فَقَالَ لَهُ:
 «مَنْ الَّذِي قَالَ لَه: (اعْرِفُونِي)؟» قَالَ: ذَاكَ - يَا أَبَا سَعِيدٍ! - إِيَّيْنَا أَنَا
 هُوَ. قَالَ: مَا عَرَفْتُ أَنَّكَ هُوَ. قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، مَرَّيْ عَلِيٌّ رضي الله عنه
 وَأَنَا أَقْصُ - أَي: أَعْطَى النَّاسَ - بِالْكَوْفَةِ، فَقَالَ لِي: «مَنْ أَنْتَ؟»
 فَقُلْتُ: أَنَا أَبُو يَحْيَى. فَقَالَ: «لَسْتُ بِأَبِي يَحْيَى، وَلَكِنَّكَ تَقُولُ:
 (اعْرِفُونِي، اعْرِفُونِي)». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ عَلِمْتَ النَّاسِخَ مِنَ
 الْمَنْسُوخِ؟» قُلْتُ: لَا. قَالَ: «هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ». فَمَا عَدتْ بَعْدُ أَنْ
 أَقْصَّ عَلَيَّ أَحَدٌ.»

وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ لِشُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ رضي الله عنه: يَا أَبَا بَسْطَامِ! مَا يَحْمِلُ
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْكَذِبِ؟ قَالَ: «يُرِيدُونَ أَنْ
 يُعْظَمُوا بِذَلِكَ.»



نَعَمْ؛ إِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ التَّكْبُرَ وَالظُّهُورَ، لَيْسُوا لِبَاسِ الْحَدِيثِ وَهُمْ
عَنْهُ بِمَعَزَلٍ، وَلَبِسُوا لِبَاسَ الْفِقْهِ وَالْبَوْنِ شَاسِعٌ، وَرَكَّبُوا مَطَايَا
الْحَيْرِ لِلشَّرِّ!!

إِنَّهُمْ سُوسٌ يَنْخِرُ فِي عِظَامِ الْأُمَّةِ، يَنْشُرُونَ الْحِلَافَ وَالشُّقَاقَ،
مُسْتَهِينِينَ بِعِلْمٍ مَنْ سَبَقَهُمْ، فَيَهْدِرُونَ جُهُودَ كُلِّ الْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ
بِزَعْمِهِمْ (هُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ!)، وَكَذَّبُوا فَـ(سَلَفُنَا رِجَالٌ
وَهُمْ صِغَارٌ)، عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ
أَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ رحمته: «مَا نَحْنُ فِيْمَنْ مَضَى إِلَّا كَبْقَلٍ فِي
أُصُولِ نَخْلِ طُوالٍ»، بَلْ نَقُولُ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ: «كَلَحِمٍ
بِجَلِّ غَثٍّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَغَيْرٍ».

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّاطِبِيُّ رحمته: «قَلَّمَا تَقَعُ الْمُخَالَفَةُ لِعِلْمِ
الْمُتَقَدِّمِينَ، إِلَّا مَنَّ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي أَهْلِ الْإِجْتِهَادِ؛ غَلَطًا أَوْ
مُغَالَطَةً».

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رحمته: «لَا آفَةَ عَلَى الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا أَضُرُّ مَنْ
الدُّخْلَاءِ فِيهَا، وَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا، فَإِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
يَعْلَمُونَ، وَيُفْسِدُونَ وَيَقْدِرُونَ أَنَّهُمْ يُصْلِحُونَ».

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمته: «فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَالِمِينَ أَنْ لَا يَقُولُوا إِلَّا مِنْ حَيْثُ عَلِمُوا، وَقَدْ تَكَلَّمْتُ فِي الْعِلْمِ مِنْ لَوْ أَمْسَكَ عَنْ بَعْضِ مَا تَكَلَّمْتُ فِيهِ مِنْهُ؛ لَكَانَ الْإِمْسَاكُ أَوْلَى بِهِ، وَأَقْرَبَ مِنَ السَّلَامَةِ لَهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ».



فَسَدَنَةُ الْخِلَافِ لَا يَعِيشُونَ وَلَا يَنْتَعِشُونَ إِلَّا بِاسْتِنْسَاقِ هَذَا الْهَوَاءِ الْمَسْمُومِ بِالْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ الْمُمِيتِ لِرُوحِ الْأُمَّةِ، وَإِلَّا بِالسَّبَّاحَةِ فِي دَوَامَةِ التَّعَالُمِ؛ حَتَّى وَلَوْ غَرَقَتِ الْأُمَّةُ وَغَرَّفُوهُمْ مَعَهَا. قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رحمته - فِيمَنْ حَدَّثَ قَبْلَ أَنْ يَتَأَهَّلَ - : «إِذَا كَثُرَ الْمَلَّاحُونَ غَرَقَتِ السَّفِينَةُ».

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الْبَلَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِّ فَالْخِلَافُ نُقْطَةٌ أَظْهَرَهَا وَكَثَّرَهَا الْمُتَعَالِمُونَ حَتَّى جَعَلُوهَا بَحْرًا مُتَلَاطِمَ الْأَمْوَاجِ؛ يُعْرِقُ الْأَحْضَرَ وَالْيَابِسَ، وَ«لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ لَسَقَطَ الْخِلَافُ»، وَيُرَوَّى عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ نُقْطَةٌ كَثَّرَهَا الْجَاهِلُونَ».



إِنَّ رُؤُوسَ الْجَهْلِ تَتَصَدَّى لِلتَّوَقُّعِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَبْلِيغِ مَا قَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَغْبَةً فِي التَّصَدُّرِ، وَطَلْبًا لِلشُّهْرَةِ وَالْبُرُوزِ، وَصَرْفِ وُجُوهِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، فَيَتَحَصَّلُ أَحَدُهُمْ عَلَى الْمَالِ وَالجَاهِ، وَيَتَشَبَّهُ بِنَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَالتَّفَاهُيهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ حَوْلَهُ، لَا أَدَاءً لِحَقِّ اللَّهِ، وَنَجَاةً بِنَفْسِهِ مِنَ النَّارِ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ:

فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: (١) «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ - يَعْنِي رِيحَهَا - يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ ﷺ: (٢) «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ» (٣) وَيَصْرِفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ».

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (ح ٨٤٥٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٣٦٦٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (ح ٢٥٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (ح ٣١٥٩).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ (ح ٢٦٠)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (ح ٦١٥٨).

(٣) يَعْنِي: يُجَادِلُ بِهِ ضَعْفَاءَ الْعُقُولِ.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١) «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ...».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (٢) «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا لَبِسْتُمْ فِتْنَةً يَرُبُّو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَتَّخِذُ سُنَّةً، فَإِنْ غَيَّرَتْ يَوْمًا، قِيلَ: هَذَا مُنْكَرٌ»، قَالُوا: وَمَتَىٰ ذَلِكَ - يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «إِذَا قَلَّتْ أُمْنَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمْرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقُهَاءُكُمْ، وَكَثُرَتْ قُرَاؤُكُمْ، وَنُفِقَهُ لِعِغْرِ الدِّينِ، وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ».



(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (ح ١٩٠٥).

(٢) صَحْحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ كِتَابُ: الْعِلْمِ. بَابُ:

التَّرْهِيْبِ مِنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِعِغْرِ اللَّهِ (ح ١١١).

وَمَنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ عِلْمَهُ أَوْ عَمَلَهُ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ أَظْهَرَ اللَّهُ نِيَّتَهُ
 الْفَاسِدَةَ فِي عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفَضَّحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ.
 وَالْأَحَادِيثُ فِي التَّرْهيبِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (١) «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ رَأَى
 اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمِعَ».

وَقَالَ ﷺ: (٢) «مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمِعَ اللَّهُ بِهِ
 مَسَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (٣) «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
 «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (ح ٢٢٣٢٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (ح ٢٤).

(٢) صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ. كِتَاب: الْإِخْلَاصِ،
 بَاب: التَّرْهيبِ مِنَ الرِّيَاءِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ خَافَ مِنْهُ شَيْئًا، (ح ٢٥).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (ح ٢٣٦٣٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ
 وَالتَّرْهيبِ. بَاب: التَّرْهيبِ مِنَ الرِّيَاءِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ خَافَ مِنْهُ شَيْئًا، (ح ٢٥).

بِأَعْمَاهِمُ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً.



إِنَّ الْعُلَمَاءَ الصَّادِقِينَ كَانُوا وَمَا زَالُوا يَعْرِفُونَ خُطُورَةَ الْفِتْوَى وَمَا تَجَرُّهُ عَلَى صَاحِبِهَا، فَلَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ يُفْتِيَ الْمَرْءَ لِيَضِلَّ وَيُضِلَّ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (١) «مَنْ أَفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»، وَقَدْ رُوِيَ: (٢) «أَجْرُوكُمْ عَلَى الْفُتْيَا؛ أَجْرُوكُمْ عَلَى النَّارِ». وَلَا يَصِحُّ حَدِيثًا.



وَلِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ ~~وَمَنْ~~ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أُمَّةٍ الْهُدَى يَتَهَيَّبُونَ الْفُتْيَا، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيُسْرُ إِذَا وَجَدَ مَنْ يَكْفِيهِ مُؤْتَنَهَا، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَتَوَقَّفُ عَنِ الْإِجَابَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ، وَيَعْلُوهُ الْكَرْبُ، وَتَأْخُذُهُ رَعْدَةٌ، وَيَتَحَدَّرُ الْعَرَقُ مِنْ

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٣٦٥٧)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ" (ح

٢٤٢).

(٢) انْظُرْ: "السَّلْسِلَةُ الضَّعِيفَةُ" لِلْأَلْبَانِيِّ (ح ١٨١٤).

جَبَّهْتَهُ إِذَا تَصَدَّقْتَ لِإِجَابَةٍ، وَلَا يُجِيبُ خَوْفًا مِمَّنْ أَنْ يَلْحَقَهُ إِثْمُ مَنْ
 كَتَمَ عِلْمًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
 وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٧٧) (آلِ عِمْرَانَ)،
 وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (١) «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ
 أَجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ ﷺ: (٢) «مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ بِهِ؛
 كَمَثَلِ الَّذِي يَكْنِزُ الْكَنْزَ ثُمَّ لَا يُنْفِقُ مِنْهُ».



وَقَدْ حَدَّدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ يَتَصَدَّقُ لِذَلِكَ؛ فَقَالَ: (٣) «لَا
 يَقْبَضُ إِلَّا أَمِيرٌ، أَوْ مَأْمُورٌ، أَوْ مُحْتَالٌ». وَفِي رِوَايَةٍ بَدَلًا مِنْ (مُحْتَالٍ):
 «أَوْ مُرَاءٍ».

(١) "صَحِيحُ الْجَامِعِ" (ح ٦٢٨٤).

(٢) "صَحِيحُ التَّرْغِيبِ" (ح ١٢٢).

(٣) "صَحِيحُ الْجَامِعِ" (ح ٧٧٥٣، ٧٧٥٤).

إِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ حَظِيرٍ: إِنَّهُ الرِّيَاءُ.. الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ، وَقَدْ يَنْضَافُ إِلَيْهِ
عَدَمُ الْعَمَلِ فَيَكُونُ الْحَظَرُ أَشَدَّ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (١)
«إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ».



وَيُصَوِّرُ النَّبِيُّ ﷺ صُورَةَ هَذَا الْبَائِسِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ
بِعِلْمِهِ؛ فَيَقُولُ ﷺ: (٢) «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي
النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ - أَيُّ تَخْرُجُ أَمْعَاؤُهُ بِسُرْعَةٍ - فِي النَّارِ، فَيَدُورُ
كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ
فُلَانٌ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟
قَالَ: كُنْتُ أَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَمْنَاهُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».
وَقَالَ ﷺ: (٣) «لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ
شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قَالَ: فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟

(١) "صَحِيحُ التَّرْغِيبِ" (ح ١٥٥٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٣٢٦٧)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٩٨٩).

(٣) "صَحِيحُ التَّرْغِيبِ" (ح ٢٣٢٧).

قَالَ: هُوَ لَاءِ خُطْبَاءٍ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

فَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، كَمَا تَعُوذُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حَيْثُ قَالَ: (١) «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا
يُخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».



وَلَقَدْ حَذَّرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَقُولَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ قَالَ
تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ
وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ (البقرة).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَالْآثِمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأعراف).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء)، أَي:

لَا تَقُلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .

وَقَدْ سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الرَّجُلِ يُفْتِي بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَقَالَ: (١)
 «يَمْرُقُ مِنْ دِينِهِ». فَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِمُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِحُكْمِ النَّبِيِّ
 ﷺ فِي الْخَوَارِجِ: (٢) «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ
 مِنَ الرَّمِيَّةِ».



وَقَدْ حَدَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَيضًا مِنْ تَرَاسٍ هُوَ لَاءِ الْجَهَّالِ
 الْمُتَفِيهِقِينَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ وَعِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ؛
 فَقَالَ ﷺ: (٣) «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ
 الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا
 اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا
 وَأَضَلُّوا».



(١) "المنهج للأحمد" (١/٢٥١).

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: الْبُخَارِيُّ (ح ٣٦١٠)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٠٦٤).

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ١٠٠)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٦٧٣).

وَلَا فَايِدَةَ حَيْثُ نَدَّ مِنْ وُجُودِ الْكُتُبِ وَالْمَصَاحِفِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: (١) «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ
 قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ»... فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا نَبِيَّ
 اللَّهُ! كَيْفَ يُرْفَعُ الْعِلْمُ مِنَّا وَيَبِينَ أَظْهَرُنَا الْمَصَاحِفُ وَقَدْ تَعَلَّمْنَا مَا
 فِيهَا، وَعَلَّمْنَا نِسَاءَنَا وَذُرَارِيَّتَنَا وَخَدَمَنَا؟ قَالَ: فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ
 رَأْسَهُ وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ حُمْرَةٌ مِنَ الْغَضَبِ؛ فَقَالَ: «أَيُّ ثَكَلْتِكِ أُمَّكُ!
 وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَيْنَ أَظْهَرِهِمُ الْمَصَاحِفُ لَمْ يُصْبِحُوا يَتَعَلَّقُونَ
 بِحَرْفٍ مِمَّا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ ذَهَابِ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ
 حَمَلَتُهُ» ثَلَاثَ مِرَارٍ.

عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: (٢) ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا؛
 فَقَالَ: «ذَلِكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ
 يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (ح ٢٢٢٩٠)، وَأَنْظَرَ "مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ" (١/١٩٩، ٢٠٠)،
 وَ"فَتْحُ الْبَارِي" (١٣/٢٩٩، ٣٠٠).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَأَحْمَدُ بِسَنَدٍ فِيهِ انْقِطَاعٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "مَشْكَاتِ
 الْمَصَابِيحِ" ح (٢٧٧).

أَبْنَاؤُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ! زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقِهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوْلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ، وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟».



وَبَعْدُ، فَهَذِهِ نَفْثَةُ مَصْدُورٍ سَاءَهُ التَّطَاوُلُ عَلَى عِلْمِ السَّلَفِ وَأَعْلَامِهِمْ، فَأَنَا (النَّدِيرُ الْعُرْيَانُ)؛ يَقُولُ: (صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ).
فَلَا بُدَّ مِنْ وَقْفَةٍ: (أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ)، وَلَا بُدَّ مِنْ بَصِيرَةٍ فِي مُوَاجَهَةِ هَذَا الطُّوفَانِ مِنَ الْعَبَثِ وَالْجَهْلِ قَبْلَ أَنْ يَجْرِفَنَا مَعَهُ.

فَلْنَعُدْ إِلَى الْأَصَالَةِ وَالْقِيَمِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْمَبَادِي، هَاجِرِينَ الدَّعْوَى وَتَسْوِيدَ الْأَوْرَاقِ بِهَذَا الْغُثَاءِ الْمَمْجُوجِ، وَلَا يَفْتَرُ أَحَدُنَا عَنْ مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَالْإِزْرَاءِ عَلَيْهَا حَتَّى لَا تَتَطَاوَلَ فَوْقَ مَكَانَتِهَا، فَإِنَّهَا بِطَبْعِهَا حُبَّةٌ لِلثَّنَاءِ وَالظُّهُورِ.



فَعَلَى الدَّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمُخْلِصِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذِينَ صَدَّقُوا مَعَ اللَّهِ فِي حَمْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَادْرَكُوا عِظَمَ الْمَسْئُولِيَّةِ الْمُلْقَاةِ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ؛ أَنْ يُشَمِّرُوا عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، وَيَنْفُضُوا هَذَا

الْغُبَارَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَقْشَعُوا هَذِهِ السَّحَابَةَ الَّتِي أَظْلَمَتْ أَمَامَ
 الْأَعْيُنِ؛ فَحَالَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رُؤْيَاةِ الْوَجْهِ الْمَشْرِقِ الْمُنِيرِ لِهَذَا الدِّينِ
 أَيَّامَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، وَأَنْ يَفْضَحُوا الْبَاطِلَ الَّذِي أُلْصِقَ بِهِ، وَأَنْ
 يُوَاجِهُوا كُلَّ مَا يُلْصِقُ بِهِ مِنْ زَيْفٍ وَهَيْتَانٍ بَيِّنٍ وَجْهَ الْحَقِّ،
 وَتَبْصِيرِ النَّاسِ بِمَا يَرْمِي إِلَيْهِ الْمُتَعَالِمُونَ الْمُتَحَدِّقُونَ الْأَدْعِيَاءَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ. فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ

وَلَكُمْ أَلْوَيْلٌ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (الأنبياء).

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النِّجَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

